للقوي والمسر لذي القوة واليسار ولما وضح بهذا انه لا زيادة الا فيما يريد
الله ولا تخير فيما يختاره الله بين ذلك بطريق لا اوضح منه بقوله تعالى الله
اي بعظيم جلاله لا غيره الذي خلقكم اي اوجدكم على ما انتم عليه من التقدير
لا تملكون شيئاً ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم اي مما اشركتم به هل من شركائكم
من يفعل من ذلكم مشيرا الى علو رتبته باداة البعد وخطاب الكل ولما كان
الاستفهام الانكاري التوبيخ بمعنى النفي اكده موكدا له مستغرقا لكل ما يمكن منه
ولو قل جدا من شيء اي ليستحق هذا الوصف الذي تطلقونه عليه ولما لزمهم
قطعا ان يقولوا لا وعزتك ما لهم ولا لاحد منهم فعل شيء من ذلك قال
تعالى معرضا عنهم منزها لنفسه الشريفة سبحانه اي تنزه تنزها
لا يحيط به الوصف من ان يكون محتاجا الى شريك وتعالى اي علوا لا تصل
اليه العقول عما يشركون في ان يفعلوا شيئا من ذلك تنبيه يجوز في
خبر الجلالة الكريمة وجهان اظهرهما انه الموصول بعدها والثاني انه
الجملة من قوله تعالى هل من شركائكم والموصول صفة والراجع من
ذلكم لانه بمعنى من افعاله ومن الاولى والثانية تفيدان شيوع
الحكم في جنس الشركاء والافعال والثالثة مزيدة لتعميم النفي فكل منها
مستقلة لتاكيد لتعجيز الشركاء وقرا حمزة والكسائي بالتاء الخطاب
والباقون بالياء التحتية ولما بين لهم تعالى من حقارة شركائهم ما كان
حقهم به ان يرجعوا فلم يفعلوا اتبعه ما اصابهم به على عزيز ما كان في اسلافهم
عقوبة لهم على قبيح ما ارتكبوه استعظاما للتوبة بقوله تعالى ظهر
الفساد اي النقص في جميع ما ينفع الخلق في البر بالقحط والخوف وقلة
المطر ونحو ذلك والبحر بالغرق وقلة الفوائد من الصيد ونحوه مما كان
يحصل منه وقلة المطر كما تؤثر في البر تؤثر في البحر فتخلو الاصداف
الا من اللولو وذلك لان الصدف اذا جاء المطر ترتفع على وجه الماء وتفتح
فما وقع فيه من المطر صار لؤلؤا وقالوا اذا انقطع المطر عميت دواب البحر
وقيل المراد بالبر البوادي والمفاوز وبالبحر المدائن والقرى التي على المياه
الجارية قال عكرمة العرب تسمي المصر بحرا تقول اجدب البر وانقطعت
مادة البحر بسببه بقوله تعالى بما كسبت ايدي الناس اي بسبب
شؤم ذنوبهم ومعاصيهم كقوله تعالى وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت
ايديكم قال ابن عباس الفساد في البر قتل احد ابني آدم اخاه وفي
البحر غصب الملك الجبار السفينة قال الضحاك كانت الارض خضرة
مونقة لا ياتي ابن آدم شجرة الا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا
يقصد الاسد البقر والغنم فلما قتل قابيل هابيل اقشعرت الارض وشاكت
الاشجار وصار ماء البحر ملحا زعاقا وقصد الحيوان بعضها بعضا وقال

قتادة

قتادة هذا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم امتلأت الارض ظلما فلما بعث
الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم رجع راجعون من الناس وقيل اراد بالناس س
كفار مكة ولما ذكر تعالى علة البداية ثنى بعلة الخاتمة بقوله تعالى
ليذيقهم بعض الذي عملوا كرما وحلما ويعفو عن كثير اما اصلا ورأسا واما عن
المعاجلة به ويؤخره الى وقت ما في الدنيا او الآخرة وقرأ قنبل بالنون بعد
اللام والباقون بالياء التحتية ثم ثلث بالعلة الغائية بقوله تعالى لعلهم
يرجعون عما هم عليه ولما بين تعالى حالهم بظهور الفساد في احوالهم
بسبب فساد اقوالهم بين لهم ضلال امثالهم واشكالهم الذين كانت
افعالهم كافعالهم بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل اي لهؤلاء
الذين لا همّ لهم سوى الدنيا سيروا في الارض فان سيركم الماضي لكونه لم
تصحبه عبرة عدم فانظروا نظر اعتبار كيف كان عاقبة الذين من قبل اي من
قبل ايامكم لتروا منازلهم ومساكنهم خالية فتعلموا ان الله تعالى اذاقهم
وبال امرهم واوقعهم في حفائر مكرهم كان اكثرهم مشركين اي فلذلك اهلكناهم
ولم تغن عنهم كثرتهم وانجينا المؤمنين وما ضرهم قلتهم ولما نهى تعالى الكفار
عما هم عليه امر المؤمنين بما هم عليه امر المؤمنين بما هم عليه وخاطب النبي صلى
الله عليه وسلم ليعلم المؤمن فضيلة ما هو مكلف به فانه امر به اشرف الانبياء
بقوله تعالى فاقم وجهك للدين القيم اي المستقيم وهو دين الاسلام من
قبل ان ياتي يوم اي عظيم لا مرد له اي لا يقدر ان يرده احد وقوله تعالى
من الله يجوز ان يتعلق بياتي او بمحذوف يدل عليه المصدر اي لا يرده من الله
احد والمراد يوم القيامة لا يقدر احد على رده من الله وغيره عاجز عن رده فلا
بد من وقوعه يومئذ اي اذ ياتي يصدعون اي يتفرقون فريق في الجنة
وفريق في السعير ثم اشار الى التفرق بقوله تعالى من كفر اي منهم فعليه
كفره اي وبال كفره ومن عمل صالحا اي بالايمان وما يترتب عليه فلانفسهم
يمهدون اي يوطئون منازلهم في القبور والجنة بل وفي الدنيا فان الله
تعالى يعزهم بعز طاعته تنبيه اظهر قوله تعالى صالحا ولم يضمر لا
يتوهم عود الضمير على من كفر وبشارة بان اهل الجنة كثير وان كانوا قليلا
لان الله تعالى هو مولاهم فهو من كيسهم وافرد الشرط وجمع الجزاء في قوله تعالى
فلانفسهم يمهدون اشارة الى ان الرحمة اعم من الغضب فتشمله واهله
وذريته وفيه ترغيب في العمل من غير نظر الى مساعد بانه ينفع نفسه وغيره
لان المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا واقل ما ينفع والديه وبنيه
في ذلك العمل وقوله تعالى ليجزي اي الله سبحانه وتعالى الذي انزل هذه السور
لبيان انه ينصر اولياءه لاحسانه لانه يحب المحسنين ولذلك اقتصر هنا على
ذكرهم بقوله تعالى الذين آمنوا وعملوا الصالحات اي تصديقا لايمانهم من فضله

King Saud University
Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)